من رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها
به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فرية وتنبيه
على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى ان كلموه ليجيبكم عنه
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد في المهد صبيا كلمه عاقل
وكان زايدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة
كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه
اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني
نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق
في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا
اينما كنت واوصاني امرني بالصلوة والزكوة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل مادمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر
والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي
يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس
السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته هو
عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه
الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس
الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه
كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت
اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان
يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها
عن شبه الخلق في الحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف

حيثما كنت

بان العذاب

على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد
الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم من شهود يوم عظيم هوله وجزاؤه وحسابه وهو يوم القيامة او من
وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم
الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب
معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما
بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا
انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه
ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته
والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا
يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك او نتوفى الارض
ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه
الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا
نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا
وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع
ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق
وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما
يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم

Copyright © King Saud University